

تعليق خاطئ ليسر الإسلام

لحضره صاحب الفضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

ورد في كلام بعض شراح الأحاديث ما يفيد أن علة يسر الإسلام وسهولته؛ هي أن الله تعالى علم ضعف المسلمين وقلة احتمالهم للتكليف والمشاق فرفع عنهم الآصار والأغلال التي كانت على من قبلهم بظلمهم وبغيهم، والتي كانوا يحتملونها ويقدرون عليها لقوتهم وشدة أيدهم.

فهل هذا صحيح؟ هل علة يسر الإسلام وسهولته حقاً ما علمه الله تعالى من ضعف المسلمين ضعفاً نسبياً خلقياً عن الذين سبقوهم؟ وهل كان اليهود والنصارى أقوى من المسلمين؟ وهل يصح أن نسبت في المسلمين هذا الشعور بالضعف ولا نشعرهم بالقوة؟ وهل يصح أن نغفل عما يكون لهذا من الأثر السئ في نفوسهم، لأن من يشعر في نفسه بالضعف يرخص للذلة المهانة، فتستهين بهم الأمم وتطمع في ضعفهم، وتستولي على بلادهم وأراضيهم، ولا يحدون إلا أن يرخصوا لحكمهم لأن دينهم بمقتضى ذلك الشح الخاطئ يضعهم في صف الأمم الضعيفة، وحكم الفطرة والتاريخ أن يرخص الصعاف للأقوباء، لأن الصعاف يعجزون عن مجاراةهم في القوة. فلا يكون لهم مكان في التاريخ إلا صفو الأمم المختلفة.

هل يصح شيء من هذا؟ اللهم لا. ويا شقاوة أمة ينتشر بين أفرادها هذا الشعور بالضعف، وقد كان يكفيانا ما يشعر به عامتنا وأشياهم خطأ من أن لغيرنا الدنيا ولنا الآخرة، فقد ضيع علينا هذا الشعور الخاطئ لعامتنا وأشياهم دنيانا،